

في نور محمّد فاطمة الزهراء

تدور في الأخلاق، رائحة غادية[128]، على غير هدىّ، بخُطىّ عشوائية، كمثل وحش في قفص يسير ويسير، ثم لا يعرف أَعَدَا أم راح. كانت تتأرجح بين الشعور بالقلق والأمل في الاطمئنان، بين الإحساس بالخطر والتطلّع إلى الأمان، بين معاناة الارتياح وراحة الإيمان، كانت تصارع الحيرة. * * * لَكَمْ طواها ونَشَرها عندئذ التساؤل، كم غمرها ونشلها، آناً يغوص بها في الأعماق، وآناً يحلّق مع السحاب. فمن ذا عسى سوف يفرزه ذلك الباب؟ من هو الحَكَم المجهول الذي سيدخل عليهم من الصفا، ليفتيهم فيما اختلفوا فيه؟ ما شكله، وما أصله؟ ما عمره، وما قدره؟ ما مناقبه، وما سجاياه؟ ما قصاره لدرء[129] خطر الخلاف؟ ما هي الكلمة التي ينسجها القدر، هذه اللحظة الحاسمة، حروفاً بَكَماء، ليضعها على طرف لسان ذلك الآتي من وراء الغيب، ثم لن تلبث أن تنفجر عنها شفتاه فتطرق طبول الأسماع، وتملأ الأرجاء بصيحة حرب أو ببشرى سلام، بدعوة إلى الموت أو بدعوة إلى الحياة؟ * * * إنَّها إذن - تلك الكلمة المرتقية - مصير، إنَّها قضاء. فإن تجئ بمنطق عدالة، فأيّ عدالة يرتضيها الأضداد؟ أو تجئ بخلاصة حكمة،